موقف النقاد من أحاديث القُصّاص دراسة نظرية تطبيقية*

*ياسر احمد الشمالي**

ملخص

دراسة نقدية فيها توضيح وتحليل لظاهرة أحاديث القصاص في التاريخ الإسلامي، تبين أهم ما يتصف به القصاص وأغراضهم، وأساليبهم، ثم بيان أثرهم السيئ في نشر المرويات الواهية التي لا أصل لها، ومقدار استغلالهم لجهل عوام الناس، ثم جهود نقاد الحديث في التصدي لهم وكشف خطرهم، ومكافحة ما يصدر عنهم، واختصاص النقاد بكشف طبيعة أحاديثهم، وبيان صلة هذا النوع من الدراسة بنقد المتن عند المحدثين بعرض نماذج من أحاديث القُصّاص التي أعلها النقاد.

الكلمات الدالة: القصاص، النقد، الحديث.

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، وبعد: فقد كان لنقاد المحدثين جهود بارزة في تنقية مرويات السنة من خلال المنهج النقدي الذي شمل السند والمتن، السند لأنه طريق وصول الحديث، ومن خلال النظر في المتن الذي هو النص الذي نبتغي سلامته من الكذب أو التزيد أو التبديل أو النقص أو التصحيف، وقد تجلى ذلك في جهودهم في كشف علل الحديث سنداً ومتناً، وجهودهم في كشف علل السند لا تخفى، لكن جهودهم في كشف علل المتن تحتاج إلى تجلية وإبراز، حيث إن كتب الموضوعات وكتب الأحاديث الواهية، وكتب العلل زاخرة بمقولاتهم النقدية المعبرة أيما تعبير عن نظرتهم الثاقبة في متون الأحاديث مواكبة لنظرتهم للأسانيد.

أهمية البحث

من الأهمية بمكان تسليط الضوء على جانب من جهود المحدثين في تنقية السنة ومكافحة الدخيل فيها، وهو بيان إحدى وسائلهم في نقد المتن سواء صح السند أم لم يصح، وهو كشف عوار الرواية بكون أسلوبها يشبه أحاديث القصاص، وهي نظرة معمقة في طبيعة المتن مبنية على استناد الناقد لطبيعة وأسلوب الحديث النبوي الصحيح، وقد كان من الظلم الواقع على المحدثين هو اتهامهم بالتركيز على نقد السند وإهمالهم لنقد المتن، مما سمح بتسرب بعض المرويات التي لا تُقبل من جهة المتن، فجاءت هذه الدراسة التي أتمنى أن تكون حلقة في سلسلة الجهود التي تتبنى إبراز مكانة نقد المتن في تاريخ الحركة النقدية، وأرجو أن يكون في هذه الدراسة إجابة على بعض الأسئلة التي تراود الباحثين والمهتمين بحركة النقد، ومن ذلك:

- ما المقصود بأحاديث القصاص؟
- ما موقع نقد أحاديث القصاص في حركة النقد؟
- هل يندرج نقد أحاديث القصاص في جانب نقد السند أم جانب نقد المتن؟
- ما مظاهر نقد أحاديث القصاص في جهود المحدثين؟

الدراسات السابقة: تنوعت المصنفات التي تعرضت لأحاديث القصاص، فمن ذلك:

– **مؤلفات خاصة:** تبين حقيقة القصص وتاريخه وبيان ما له وما عليه: فمن ذلك: القُصاص والمذكرين: لابن الجوزي، أحاديث القصاص: لابن تيمية، تحذير الخواص من أحاديث القُصاص: جلال الدين للسيوطي.

– كتاب الحديث والمحدثون للشيخ محمد أبو زهو. وهي مطبوعة استفدت منها.

– **كتب الأحاديث الموضوعة:** حيث اهتمت هذه الكتب بالتنبيه على بعض الأحاديث المنكرة والموضوعة التي كانت من صنع القصاص الكذابين، أو مما أُدخل على بعض المغفلين من عدول الرواة، ومن ذلك: كتاب الموضوعات لابن الجوزي.

– **أبحاث علمية:** الآثار السيئة للوضع في الحديث، لعبد الله الشقاري، منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد120، السنة 35 (1423هـ).

* قسم التفسير والحديث، جامعة الكويت، الكويت. تاريخ استلام البحث 2013/11/12، وتاريخ قبوله 2014/11/16.

* تم دعم وتمويل هذا البحث من قبل جامعة الكويت، مشروع رقم: HH01/11.

© 2015 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

– **كتب العلل والسؤالات:** ومن ذلك علل الحديث لابن أبي حاتم، حيث تتضمن أحكاما نقدية لكثير من مرويات القصاص وإن كانت بأسانيد ظاهرها الصحة.

وهذه المصنفات ذات أهمية بالغة في إبراز كثير من المرويات التي لا تصمد في مواجهة معايير النقد، لكن ما جاء فيها مما يختص بنقد المتن يحتاج إلى جمع ودراسة وإظهار وتحليل، مع بيان الجانب النقدي، فكانت هذه الدراسة يسر الله تعالى إتمامها.

منهجية البحث

سوف أعتمد في هذه الدراسة على منهج الاستقراء غير التام في جمع كل ما يتعلق بهذه الدراسة من بيان جهود أو إيراد النماذج التطبيقية التي اشتملت عليها كتب النقد، ثم تحليل هذه النماذج وتسليط الضوء على الجانب النقدي للمتن.

مباحث الدراسة: تتكون هذه الدراسة من اثني عشر مبحثاً، وهي:

المبحث الأول: بيان القَصَص والقُصّاص في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني نقد أحاديث القصاص وصلته بنقد المتن

المبحث الثالث: من هم القصاص

المبحث الرابع: تاريخ القصص

المبحث الخامس: أثر القُصّاص في نشر الموضوعات والروايات الواهية

المبحث السادس: العلاقة بين أحاديث القُصّاص والإسرائيليات

المبحث السابع: سذاجة القصاص وعنت العلماء في التعامل معهم

المبحث الثامن: أحاديث القصاص والمصنفات

المبحث التاسع: سبب انتشار أحاديث القصاص

المبحث العاشر: جهود العلماء في مكافحة أحاديث القصاص

المبحث الحادي عشر: موقف النقاد من هذا النوع من المرويات

المبحث الثاني عشر: نماذج من أحاديث القُصّاص التي أعلها النقاد

المبحث الأول
القَصَص والقُصاص في اللغة والاصطلاح:

المطلب الأول: القصص في اللغة:

القص: هو تتبع الأثر. يقال: قصصتُ أثره: أي تتبعته، ومنه قوله تعالى: (وقالت لأخته قُصّيه) **القصص: 11** أي اتبعي أثره، والقَصص: الخبر المقصوص، أي ما فيه سرد للواقع وتتبع ما فيه من مواقف وعبر، قال تعالى: (إنَّ هذا لهُوَ القصصُ الحَقُّ) **آل عمران: 62**، والقصة: الأمر، والخبر، والشأن.

والقاص: هو من يأتي بالقِصة على وجهها لتتبعه لمعانيها وألفاظها[1]، والقُصّاص: جمع قاص

والقاص في الاصطلاح: "هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها"[2]، ويختص بمن يروي أخبار الماضين في الغالب، ويخلطه بشيء من المواعظ والتذكير.

أما الواعظ أو المُذكِّر: فهو من يقوم بتعريف الخلق بالله تعالى وحثهم على شكره وتحذيرهم من مخالفته، وهو أمر مطلوب شرعاً لقوله تعالى: (وعظهم وقُل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) **النساء:** 63.

والقصص في القرآن جاء لبيان الحقائق، والعظة والعبرة ولما له من موقع في التأثير وشد الانتباه، لهذا قال تعالى: (نحن نقص عليك أحسن القصص) يوسف:3.

وجاءت القصة أيضا في الحديث النبوي، أسلوباً مشوقاً لإيصال المعلومة وبيان الحقيقة، والتأثير بالمستمع وإيجاد العبرة والعظة بالتذكير بأحداث السابقين وما كان فيهم من عجائب ونوادر ومواقف تستحق أن تذكر وتُدرس.

وكان من الممكن أن يكتفي الوعاظ والقصاص بما جاء في كتاب الله تعالى وما جاء في صحيح السنة من قصص الأمم الماضية، وما جاء في صحيح الروايات مما يتعلق بهدي النبي ﷺ لكن كل ذلك لم يكفهم، فلجئوا للإسرائيليات والحكايات الواهيات ذات الغرابة والمبالغات جهلاً أحياناً وطلباً للسمعة أحياناً، ورغبة بعطايا الناس أحياناً أخرى، فنشأ على مدى التاريخ الإسلامي هذا النوع من القصص، وكان النقاد لهم بالمرصاد.

المطلب الثاني: من هم القُصّاص؟

القُصّاص هم صنف من الناس يتصدرون مجالس التحديث في المساجد وغيرها، والأصل في هذه المهمة هي وعظ الناس وترغيبهم، من خلال ما يقصونه عليهم من أحاديث أو آثار وحكايات عن السلف، وقد يمزج بعضهم ذلك بسرد الإسرائيليات، وقد وُجد فريق منهم ممن امتاز بالعلم والتثبت فيما يقول ويروي، لكن الفريق الأكثر منهم بعيد عن التثبت ولا يعنيه صحة ما يروي، ولا يعنيه أن يكون ما يصدر منه موافقاً لأصول الشريعة أو فيه قدر من المعقول، وذلك لبعد هؤلاء عن الفقه في الدين ومعرفة قواعد الشريعة وما ينبغي أن يصح، وكذلك لقلة الورع لأن همّة أحدهم أن يقص ويستميل قلوب الناس، ليحقق بذلك الحظوة.

قال ابن الجوزي: " وهذا – أي القاص– في الغالب عبارة عمّن يروي أخبار الماضي، وهذا لا يُذم لنفسه، لأن في إيراد

أخبار السالفين عبرةً لمعتبر وعظةً لمزدجر واقتداءً بصواب لمتبع، وقد قال الله تعالى:

(نحن نقص عليك أحسن القصص) يوسف: 3.

وقال: (إن هذا لهُوَ القصصُ الحقُّ) **آل عمران: 62.**

قلت: وقد صار القاص في التاريخ الإسلامي علماً لمن يقص ومن يعظ ويذكر، لندرة أن تجد من يعظ دون أن يخلط ذلك بالقصص وأخبار الماضين، ولندرة أن تجد من يعظ ويذكر ويتحرى الصحة والدقة، وندرة من يعظ ويتجنب الأحاديث الموضوعة أو المنكرة.

مع التأكيد على أن هناك –على مدى التاريخ الإسلامي– قوماً صالحين أهل علم وورع وتثبت، ينهجون في قصصهم ووعظهم المنهج السليم من خلال تحري صحيح القصص وما ثبت من الحكايات، وما ثبت من الروايات، مع طرح المستحيل والمنكر وما يتعارض مع أحكام الشرع، لكنهم قلة.

ومع التنبيه أن إيراد القصص الصحيح وبيان موضع العبرة فيه أسلوب رائع وحكيم وسلاح مهم متى أحسن الواعظ استعماله لما له من تأثير حيث إن النفوس بطبيعتها تستمتع بسماع القصص وتنسجم معها، لهذا أورد القرآن القصة لحكمة بالغة، كما قال تعالى: (لقد كان في قَصَصِهم عبرةٌ لأولي الألباب) يوسف/111.

ولا ننسى أن القصة وردت أيضاً في حديث النبي ﷺ لما لها من أثر وما فيها من عبرة.

المبحث الثاني
نقد أحاديث القصاص وصلته بنقد المتن

إن مظاهر نقد المحدثين للمتون متعددة، مرجعها أنهم اشترطوا – بعد صحة السند– أن يكون المتن معناه صحيحاً، أي يصلح أن يكون من كلام النبوة، وذكروا أن كلام النبوة له سمات وعلامات يعرفها من يمارس رواية الحديث ونقده، ولذلك قال ابن أبي حاتم نقلاً عن أبيه: " تُعلم صحة الحديث بعدالة ناقليه، وأن يكون كلاماً يصلح أن يكون مثله كلام النبوة، ويُعرف سُقمه وإنكاره بتفرد من لم تصح عدالته بروايته"[3].

قلت: وهذا دليل واضح على اهتمام النقاد السابقين بنقد المتن، وأن النظر في النص المروي كان يتزامن مع النظر في السند، ولذلك كانوا يستنكرون أحاديث كثيرة ويحكمون عليها بالبطلان أو الوضع من خلال النظر في المتن، وهنا يكون في السند عادة راوٍ مجروح أو سقط، وفي كثير من الحالات يكون السند ظاهره الصحة، ومع ذلك يُعلُّون الحديث بناء على استنكار المتن.

فإن كان المتن مستقيما يصلح أن يكون من كلام النبوة نظروا في السند، فأصبح عندهم شرطان رئيسان لصحة الحديث:

– **الشرط الأول: سلامة المتن**، وهذه تُعرف بالخبرة الثاقبة والمعرفة الواسعة بنصوص الشريعة ومقاصدها، وكذا بمعايشة أحاديث النبي الكريم وكثرة قراءتها ودراستها وروايتها، حتى عرفوا منهج النبي الكريم ﷺ وما يمكن أن يقوله وما لا يمكن أن يقوله، وهو حبيبهم ونبيهم الذي كانوا يرحلون الأيام والأسابيع والشهور، ويقطعون الفيافي والقفار، ليسمعوا حديثه، أو لفظة من حديثه، بل حتى وجها أو طريقا من طرق الحديث.

فهؤلاء أصبح عندهم ملكة نقدية يميزون من خلالها ما عليه طابع النبوة من غيره، ومن أجل ذلك بينوا ونقدوا.

أخرج الخطيب بسنده عن الربيع بن خثيم قال: "إن من الحديث حديثاً له ضوء كضوء النهار نعرفه، وإن من الحديث حديثاً له ظلمة كظلمة الليل ننكره"[4].

وأسند عن الأوزاعي قال: "كنا نسمع الحديث ونعرضه على أصحابنا كما نعرض الدرهم الزائف فما عرفوا منه أخذناه، وما أنكروا منه تركناه"[5].

والشرط الثاني: صحة السند وسلامته من الشذوذ والعلة، وهو مصفاة دقيقة يخرج من خلالها أحاديث جمة مروية من طريق الكذابين والمتروكين والمدلسين والمختلطين، فضلا عن الأحاديث المروية بالأسانيد المنقطعة أو التي فيها مجاهيل ونحو ذلك، مما أراح النقاد من كثير من المتون المستبشعة التي جاءت بأسانيد غير مرضية.

فبقي النظر الدقيق في المتون التي قد تكون جاءت عن طريق العدول ممن صح ضبطهم، أو كان في ضبطهم خفة، لكن دخل على حديثهم مرويات فيها علل في متونها.

وكان من ذلك التشبيه بأحاديث القصاص الذي ينبني على المعرفة بخصائص أحاديثهم، حيث إنها تُعرف بطول متونها وركاكة ألفاظها ومعانيها وكثرة ما فيها من التفصيلات والمبالغات التي لم تعُهد في الشريعة، فإذا جاءت رواية بهذه السمات – ولو كان راويها ثقة– قال الناقد: إنها تُشبه أحاديث القصاص، وهو قريب من التشبيه بالحديث الموضوع، إضافة إلى معايير النقد التي يحتكم إليها الناقد مثل مخالفة العقل أو القرآن أو مقاصد الشرع أو التاريخ أو ركة المعاني وسماجتها ونحو ذلك.

قال ابن القيم: – وهو يتحدث عن علامات الحديث المنكر والموضوع–: "ومنها أن يكون كلامه لا يشبه كلام الأنبياء فضلا عن كلام رسول الله الذي هو وحي يوحى، كما قال تعالى: (وما ينطقُ عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحَى) النجم: 3–4 – أي وما نطقه إلا وحي يُوحى، فيكون الحديث مما لا يشبه الوحي بل لا يشبه كلام الصحابة.." ثم ذكر نماذج لذلك[6].

المبحث الثالث

ما هي أحاديث القصاص؟

أحاديث القصاص يقصد بها نوع من الأحاديث المردودة لكونها لا تشتمل على شروط الصحة، من جهة خلو المتن من أسلوب الحديث النبوي الصحيح من جهة المعنى، ومن خلال ما تتضمنه من مبالغات وغرائب، وكذا ما فيها من معانٍ مستنكرة، وقد يكون متن هذا النوع من الأحاديث المروية والمنسوبة كذباً إلى رسول الله ﷺ قصيرة اللفظ وقد تكون مطوّلة، قد عرف علماء النقد طابعها بالخبرة والممارسة، فميزوها عن الثابت من حديث رسول الله ﷺ لهذا تجد في كتب النقد قولهم في معرض النقد: "هذا يشبه أحاديث القصاص" فتعلم بذلك أنه لا يشبه طابع الحديث النبوي الذي يمتاز ببلاغة لفظه وصحة معناه وحلاوة أسلوبه، أما حديث القصاص فركيك اللفظ ركيك المعنى مليء بالمبالغات والغرائب ومخالفة المعقول والمنقول.

قال ابن الجوزي: وإنما كره بعض السلف القصص لأحد ستة أشياء:

1-أن القوم كانوا على الاقتداء والاتباع فكانوا إذا رأوا ما لم يكن على عهد رسول الله ﷺ أنكروه...

2-أن القصص لأخبار المتقدمين تندر صحته خصوصاً ما يُنقل عن بني إسرائيل، وفي شرعنا غُنية، وَقد جَاءَ عمر بن الْخطاب-ﷺ- بِكَلِمَات من التَّوْرَاة إِلَى رَسُول الله،-ﷺ- فَقَالَ لَهُ: "أمطها عَنْك يَا عمر"[7]، خصوصاً إذ قد علم ما في الإسرائيليات من المحال، كما يذكرون أن داود- عليه السلام- بعث أوريا حتى قُتل وتزوج امرأته، وأن يوسف حلّ سراويله عند زليخا[8] ومثل هذا محال تتنزه الأنبياء عنه، فإذا سمعه الجاهل هانت عنده المعاصي، وقال: ليست معصيتي بعجب.

3-الثالث: أن التشاغل بذلك يشغل عن المهم من قراءة القرآن والتفقه في الدين.

4-أن في القرآن من القصص وفي السنة من العظة ما يكفي عن غيره مما لا يُتيقن صحته.

5-أن أقواماً ممن كان يُدخل في الدين ما ليس منه قصّوا، فأدخلوا في قصصهم ما يُفسد قلوب العوام.

6-أن عموم القصاص لا يتحرون الصواب، ولا يحترزون من الخطأ لقلة علمهم وتقواهم فلذلك كره القصص من كرهه، فإذا وعظ العالم، وقص من يعرف الصحيح من الفاسد فلا كراهة[9].

المبحث الرابع

تاريخ القصص

1-القصص بمعناه العام- الذي يشمل القصص والوعظ والتذكير بدأ في عهد عمر ﷺ فقد أخرج أحمد في مسنده عن السائب بن يزيد قال: (لم يكن يُقصُّ على عهد رسولِ الله ﷺ ولا أبي بكر، وكان أوّلَ من قصّ تميمُ الداري، استأذن عمرَ بن الخطاب أنْ يقص على الناس قائما فأذن له)[10].

وأخرج ابن عساكر عن حميد بن عبد الرحمن: (أن تميماً الداري استأذن عمرَ في القصصِ سنين، فأبى أن يأذنَ له، فاستأذنه في يوم واحد، فلما أكثر عليه قال له ما تقول؟ قال: أقرأ عليهم القرآنَ وآمرهم بالخير وأنهاهم عن الشر. قال عمر: ذلك الذَبحُ.[11]

ثم قال: عِظْ قبل أن أخرج في الجمعة، فكان يفعل ذلك يوما واحداً في الجمعة"[12] قال زين الدين العراقي: "فانظر توقف عمر في إذنه في حق رجل من الصحابة الذين كل واحد منهم عدل مؤتمن، وأين مثل تميم في التابعين ومن بعدهم... وقد أشار عمر إلى تميم أنه الذبح لما يُخشى عليه من الترفع والإعجاب"[13].

2-ويظهر أن أمير المؤمنين عمر ﷺ كان متشددا في الإذن، إلا لمن علم فيه التثبت وإرادة الدعوة إلى الله ومنفعة الناس، ويشهد لذلك ما أخرجه ابن سعد قال: حدثنا عفان بن مسلم، قال ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت قال: (أولُ من قَصّ عُبيد بن عمير على عهد عمرَ بن الخطاب)[14].

وتُحمل هذه الروايات على بوادر القصص، وبأنه كان قليلاً، وأنه يقتصر على الوعظ والتذكير، وأنه كان تحت سمع وبصر ولي الأمر، كما يفيده قوله: "استأذن عمرَ..." مما يدل على التزام بضوابط القصص والبعد عما لا يصح، وقد علم القاصي والداني تشدد عمر ﷺ في الرواية واحتياطه للسنة، وذبه عن حمى الدين.

3-بدأ القصص بمعناه المعروف من التوسع في قصص الماضين، والبعد عن التثبت، بعد فتنة مقتل عثمان ﷺ- حيث حصلت الفرقة، وظهرت المذاهب السياسية، ولجأ الناس إلى هؤلاء القصاص لعلهم يجدون ضالتهم، فقد أخرج ابن أبي عاصم، والخطيب، ومن طريقه ابن الجوزي بسند صحيح عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: (لم يُقصَّ على عهدِ رسولِ الله، ولا أبي بكرٍ ولا عمرَ، ولكنه شيءٌ أحدثوه بعدَ عثمان)[15].

4-وأخرج ابن أبي شيبة وابن الجوزي عن ابن سيرين، قال: (أولُ مَنْ قصَّ الحَرورية، أو قال: الخوارج)[16].

أشار ابن عمر وابن سيرين إلى اشتهار القصص وكثرته وخروجه عن سياقه الذي كان في زمن عمر ﷺ، وقد سبق ذكر أن عمر أذن لتميم الداري في القصص.

5-وأخرج ابن أبي عاصم، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي

شيبة، نا يحيى بن سعيد، عن حصين عن أبي عبد الرحمن السلمي: (أنَّ علياً ﷺ رأى رجلا يقصُّ فقال: علمتَ الناسخَ من المنسوخ؟ فقال: لا. قال: هلكتَ وأهلكتَ)[17].

قال ابن أبي عاصم: "وفي قول علي ﷺ للقاص: "أعلمت الناسخ من المنسوخ" دليل على امتحان القُصاص المأذون لهم في القصص".

وإذا كانت هذه بداية القصص في خير القرون، فإن حال القصص بعد ذلك قد كثر وتجرأ عليه من ليس أهلاً له، خاصة عندما كثر الجهل، ومن هنا جاءت يقظة العلماء في كل عصر من خلال التحذير منهم:

6-فقد أخرج مسلم في مقدمة صحيحه، والعقيلي- وابن الجوزي- قال السيوطي: بسند صحيح- عن عاصم بن بَهدَلة قال: "كنا نأتي أبا عبدِ الرحمن السُّلمي، ونحن غِلمةٌ أيْفاع، فيقول: لا تُجالسوا القُصاصَ غير أبي الأحوَص[18].

وأبو الأحوص هو: **عوف بن مالك الجشمي الكوفي،** تابعي جليل، روى عن علي وابن مسعود وأبي هريرة، أخرج له البخاري ومسلم، وروى له أصحاب السنن الأربعة، وثقه ابن معين والنسائي وابن سعد وابن حبان، شهد مع علي قتال الخوارج بالنهروان[19].

فمثل أبي الأحوص إذا كان يقص فإنه مظنة التثبت والاحتياط وسلامة النية والحرص على منفعة الناس، بعيداً عن سرد المبالغات والخرافات وما يسيء للدين.

7-وتحدث عن القصاص وحذر منهم ابن قتيبة **(ت: 276)** في كتاب تأويل مختلف الحديث.

8-وتحدث عنهم ابن الجوزي **(ت: 597هـ)** في كتاب القصاص والمذكرين، فتعرض لدوافعهم وصفاتهم، وحكاياتهم.

9-وتحدث عنهم الصغاني- الحسن بن محمد **توفي: 650**- في كتابه الموضوعات فقال: "وقد كثرت في زماننا الأحاديث الموضوعة، يرويها القصاص على رؤوس المنابر والمجالس، ويذكرها الفقراء والفقهاء في الخوانق[20] والمدارس وتُدوولِت في المحافل، واشتهرت في القبائل، لقلة معرفة الناس بعلم السُنن وانحرافهم عن السَنَن، ولم يبق من علماء الحديث إلا قوم ببلدة عجفرا [21].

كَأَن لَم يَكُن بَينَ الحَجون إِلى الصَفا. .أَنيسٌ وَلَم يَسمُر بِمَكَّةَ سامِرُ[22].

المبحث الخامس

أثر القُصّاص في نشر الموضوعات والروايات الواهية

المطلب الأول: قلة الورع عند عامة القصاص:

إن كثيراً من القصاص الذي تولوا مهمة القص والوعظ لا يخافون الله تعالى، وليس عندهم من الورع ما يكفي لردعهم عن الكذب على رسول الله ﷺ أو ترويج ما يظهر عليه الكذب، ولا يهمهم سوى التأثير في الناس ونيل إعجابهم، ثم لا يهمهم بعد ذلك استحالة ما يحدثونه ولا نكارته ولا يمنعهم ما فيه من مبالغة أو إفراط، ونسبته إلى المعصوم ﷺ.

وهنا يظهر الفرق الشاسع بين القصاص وبين المحدثين، وهم -أي المحدثين-قسمان: قسم يقتصر على جمع ما صح من الحديث عن رسول الله ﷺ، مثل البخاري ومسلم، وابن حبان، وابن خزيمة، والحاكم، وابن الجارود والضياء المقدسي، فهؤلاء هدفهم الاقتصار على الصحيح، - مع التفاوت بينهم في شروط الصحة والانتقاء-.

والقسم الآخر، يهدف إلى جمع كل الأحاديث التي وصلته، مع استبعاد ما رواه الكذابون والمتروكون والقصاص، وهذا شرط كل من صنف المسانيد والمعاجم، ونحوها من دواوين السنة- وهذا الشرط متفق عليه بينهم، التزاماً منهم بعدم رواية ما يُعلم أنه مكذوب، لحديث النبي ﷺ (مَنْ حدّثَّ عني بحديثٍ يُرى أنه كذِبٌ فهو أحدُ الكاذبين)[23].

قال الإمام النووي-رحمه الله- تحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعاً أو غلب على ظنه وضعه، فمن روى حديثاً علم أو ظن وضعه ولم يبين حال روايته وضعه فهو داخل في هذا الوعيد مندرج في جملة الكاذبين على رسول الله ﷺ"[24].

فلا يصح بحال تعمد رواية ما يُعلم أنه مكذوب مفترى لا يليق بالنبي ﷺ وهذا ما لم يلتزم به القصاص الباحثون عن الغريب والعجيب، ولو كان في قواعد الشرع ما يكذبه.

المطلب الثاني: اهتمام القُصّاص بالمبالغات والخرافات لترويجها

عند إجابة ابن قتيبة على إيراد بعض الطاعنين، الذين شنّعوا بما يتناقله القصاص: "إن عوجاً اقتلع جبلاً قدره فرسخ في فرسخ على عسكر موسى فحمله على رأسه ليطبقه عليهم فصار طوقاً في عنقه حتى مات، وأنه كان يخوض البحر فلا يجاوز ركبتيه، وكان يصيد الحيتان من لُججه ويشويها في عين الشمس..."[25].

أجاب ابن قتيبة: أن هذا مما نقله قوم من القُصّاص عن أهل الكتاب.

ثم تطرق - رحمه الله- للوجوه التي يدخل منها الفساد على الحديث، فذكر الزندقة، ثم قال: "والوجه الثاني القصاص، فإنهم يميلون وجه العوام إليهم، ويستدرون ما عندهم بالمناكير، والغريب والأكاذيب من الحديث، ومن شأن العوام القعود عند

القاص ما كان حديثه عجيباً خارجاً عن فطر العقول، أو كان رقيقاً يحزن القلب ويستغزر العيون، فإذا ذكر الجنة قال: فيها الحوراء من مسك أو زعفران، وعجيزتها ميل في ميل، ويبوئ الله وليه قصراً من لؤلؤة بيضاء فيه سبعون ألف مقصورة، في كل مقصورة سبعون ألف قبة، في كل قبة سبعون ألف فراش، على كل فراش سبعون ألف كذا، فلا يزال في سبعين ألف كذا، وسبعين ألفاً، كأنه يرى أنه لا يجوز أن يكون العدد فوق السبعين ولا دونها،... وكلما كان من هذا أكثر كان العجب أكثر والقعود عنده أطول، والأيدي بالعطاء إليه أسرع. والله تعالى أخبرنا في كتابه بما في جنته بما فيه مقنع عن أخبار القصاص وسائر الخلق..."[26].

قال ابن قتيبة: ثم يذكر –أي القاص– آدم عليه السلام، ويصفه فيقول: كان رأسه يبلغ السحاب أو السماء، ويحاكّها، فاعتراه لذلك الصلع، ولما هبط إلى الأرض بكى على الجنة حتى بلغت دموعه البحر وجرت فيها السفن، ويذكر داود عليه السلام فيقول: سجد لله تعالى أربعين ليلة وبكى حتى نبت العشب بدموع عينيه، ثم زفر زفرة هاج له ذلك النبات.. وليس في شيء مما وصف الله تعالى به من قبلنا ما يقارب هذا الإفراط...[27]

وأما الوجه الثالث الذي يقع فيه فساد الحديث: فأخبار متقادمة كان الناس في الجاهلية يروونها تشبه أحاديث الخرافة، كقولهم إن الضب كان يهوديا عاقّاً فمسخه الله تعالى ضباً،... وكقولهم في السنور إنه عطسة الأسد، وفي الخنزير إنه عطسة الفيل، وحديث عوج عندنا من هذه الأحاديث..."[28]

قلت: قوله وحديث عوج... يقصد بذلك أنها من أحاديث القصاص العجيبة المأخوذة عن الخرافات المنتشرة، المفرطة في الوصف مما لم يرد به كتاب أو سنة صحيحة، ولا يصدقه منطق التاريخ، وفساد معناه ظاهر، إنما يحكيه القصاص لاستمالة الناس.

ومما يبن جرأتهم على الكذب ما ذكره ابن الجوزي، حيث قال: "وقد كان في زماننا قاص حدثني عنه فقيهان ثقتان أنه حدثهما قال: صعدت إلى المنبر يوم عاشوراء فقلت: قال رسول الله ﷺ: (من صام يوم عاشوراء كان له وكان له...) وسردت من هذا كثيراً، كله وضعته في الوقت."[29]

وقد انتقد ابن الجوزي غالب القصاص بأن الخلل اعتراهم من وجهين:

الأول: ملء المجالس بأحاديث لا أصل لها، كصلاة الرغائب وصلاة نصف شعبان، وغير ذلك ولا يُحثّون على الواجبات، وفيهم من يروي أحاديث التخويف الموضوعة إلى أن يقنط الناس من الرحمة.

الوجه الثاني: روايتهم لأحاديث دون أن يفقهوا معناها، مثل حديث (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) ولا يبينون أن هذا كان في بداية الإسلام، وأنه لا يكفي القول حتى يعمل بمقتضاه[30].

وقال ابن الجوزي– في موضع آخر–: "معظم البلاء في وضع الحديث إنما يجري من القصاص لأنهم يريدون أحاديث ترقق وتنفق، والصحاح تقل في هذا"[31].

وقد نبّه الحافظ العراقي إلى خطورة ما يروجه القصاص فقال: "إنهم ينقلون حديث رسول الله–ﷺ– من غير معرفة بالصحيح والسقيم، وإن اتفق أنه نقل حديث صحيحاً كان آثماً في ذلك لأنه ينقل ما لا علم له به، وإن صادف الواقع، آثما بإقدامه على ما لا يعلم.. ومن آفاته أن يحدثوا كثيرا من العوام بما لا تبلغه عقولهم، فيقعوا في الاعتقادات السيئة، هذا ولو كان صحيحاً، فكيف إذا كان باطلاً،[32] وقد قال ابن مسعود: (ما أنتَ مُحدِثٌ قوماً حديثاً لا تبلغُه عقولُهم إلا كان لبعضهم فتنةً)، رواه مسلم في مقدمة صحيحه"[33].

فأشار رحمه الله إلى أمرين:

1–رواية الحديث دون التثبت من صحته أو ضعفه أو كونه موضوعاً.

2–تحديث العوام بروايات لا تبلغ عقولهم مما يسبب فتنة الفهم والعمل.

المطلب الثالث: العلاقة بين أحاديث القصاص وبين الأحاديث الموضوعة؟

أحاديث القصاص تختلف في منزلتها، فقد يُحكم على بعضها بالضعف أو بالضعف الشديد، أو بالبطلان، وقد يُحكم عليها بالوضع إن كان في السند وضاع، أو كان في المتن ما يوحي بالكذب لمخالفته للقرآن أو قواعد الشريعة ونحو ذلك من معايير الحكم بالوضع.

وليس كل الأحاديث الموضوعة هي أحاديث قصاص، لأن بعضاً من الأحاديث الموضوعة سيق بطريقة ماكرة ليشبه الحديث النبوي، فالشبه بينهما من وجه دون وجه.

ثم لا بد من التنويه أن بعضاً من القصاص ينتمي لفرقة مبتدعة مثل الرفض أو غيره، فهؤلاء همهم وهمتهم رواية ما يؤيد بدعتهم وما له صلة بنحلتهم فيغلب على رواية هؤلاء سرد روايات تتضمن غرائب وعجائب في نصرة مذهبهم وهو أحد أسباب الوضع.

كما إن من المهم التنويه أن بعض أحاديث القصاص قد تأتي من طريق راوٍ صدوق لكنه مغفل من خلال التلقين، ونحو ذلك من أبواب دخول الخطأ أو الدس في روايات الصالحين

الذي يفتقدون للإتقان والتثبت ولا يميزون بين الغث والسمين.

والمدلسون لهم حظ وافر في رواية هذا النوع من الأحاديث لأنهم يحذفون من السند ذالك الراوي المغفل أو المتروك الذي يُتهم بهذا المروي المحكوم عليه بأنه من أحاديث القصاص.

المبحث السادس

العلاقة بين أحاديث القصاص والإسرائيليات:

يبحث القصاص عن كل ما يثير الانتباه وكل ما هو غريب، أو كل تفصيل تتشوف النفوس إليه، فكانت الإسرائيليات مصدراً أساساً لهم، لهذا تجدهم يسطون على ما رواه أهل الكتاب في بعض كتبهم، أو ما رواه من أسلم من أهل الكتاب، فيروون ذلك بأسانيد مركبة مفتعلة، على أنها أحاديث نبوية، وبعضٌ من ذلك يكون مما أُدخل على المغفلين منهم ممن لا يتعمد الكذب، أو من خلال التلقين، لهذا تجد في كتب الموضوعات والكتب التي جمعت الأحاديث المنكرة جملة من هذه المرويات التي كشفها النقاد وبينوا عوارها، ولهذا نجد الكتب التي اهتمت بأحاديث القصاص تتضمن كثيراً مما أصله من الإسرائيليات، رواه القصاص على أنه من الحديث النبوي، فبين ذلك العلماء وحذروا منه.

– فمن ذلك ما جاء في أحاديث القصاص لابن تيمية– رحمه الله–

فقد سُئل عن رواية: (ما وَسِعني سمائي ولا أرضي بل وسعني قلبُ عبدي المؤمن)

فأجاب: هذا مذكور في الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ ومعناه وسع قلبه الإيمان بمحبتي ومعرفتي، وإلا فمن قال: إن ذات الله تحل في قلوب الناس، فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده[34].

–ومن ذلك ما جاء في كتب التفسير مما يتعلق، بقصة هاروت وماروت، وما يتعلق بالمسوخ من المخلوقات، وما يتعلق بتابوت بني إسرائيل، وما ورد في قصة آدم– عليه السلام– وعظم خلق الجبارين، وخرافة عوج بن عنق، والإسرائيليات في المائدة التي طلبها الحواريون، والإسرائيليات في سفينة نوح، وفي قصة يوسف– عليه السلام–.. ونحو ذلك مما تناقله القُصاص عن كتب بني إسرائيل، ومما اختلقوه هم أو زادوا فيه ليثيروا انتباه الناس وإعجابهم مستغلين غفلة العوام، وقلة من يحقق في كلامهم، وساعدهم في ذلك نقل بعض كتب التفسير لها:

ففي تفسير قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ) **الأعراف: 143** – قال البغوي: "وفي بعض الكتب: إن ملائكة السموات أتوا موسى وهو مغشي عليه، فجعلوا يركلونه بأرجلهم ويقولون: يا ابن النساء الحُيَّض، أطمعت في رؤية رب العزة؟"[35].

وذكر مثل هذا الزمخشري في تفسيره عند تفسيره للآية المذكورة، وقد تنبه إلى هذا الإمام ابن المنير فقال: "وهذه حكاية إنما يوردها من يتعسف لامتناع الرؤية فيتخذها عوناً وظهراً على المعتقد الفاسد، والوجه التورك بالغلط على ناقلها وتنزيه الملائكة عليهم السلام من إهانة موسى الكليم بالوكز بالرجل والغمص في الخطاب[36].

وكذا انتقده الآلوسي: فقال في تفسيره: "ونقل بعض القصاصين أن الملائكة كانت تمر عليه فيلكزونه بأرجلهم... وهو كلا ساقط لا يعول عليه بوجه..."[37]

قال الشيخ أبو شهبة– رحمه الله– معلقاً على الزمخشري: " وقد نقلها لأنها تساعده على إثبات مذهبه الفاسد وجماعته، وهو استحالة رؤية الله في الدنيا والآخرة، وهذا وأمثاله مما لا نشك أنه من الإسرائيليات المكذوبة، وموقف بني إسرائيل من موسى ومن جميع أنبياء الله معروف، فهم يحاولون تنقيصهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا[38].

قلت: وبهذا وأمثاله مما أورده بعض المفسرين في تفاسيرهم من حكايات إسرائيلية، مأخوذة عن القصاص، إنما يدل أن بعض المفسرين قد قاموا بمهمة القصاص في الترويج لها ونشرها، وعدم التنبه لخطورتها.

المبحث السابع

سذاجة القصاص وعنت العلماء في التعامل معهم

جمع بعض القصاص بين الكذب والسذاجة، التي لا تنطلي إلا على عوام الناس، فقد أخرج ابن الجوزي بسنده عن الشعبي: أنه دخل مسجداً وهو في طريقه إلى الشام، فإذا شيخ عظيم اللحية قد أطاف الناس به، وهم يكتبون عنه، فحدثهم: قال: (حدثني فلان عن فلان، يبلغ به النبي– ﷺ أن الله تعالى خلق صورين، له في كل صور نفختان، نفخة الصعق ونفخة القيامة. قال الشعبي: فلم أضبط نفسي أن خففت صلاتي، ثم انصرفت فقلت: يا شيخ اتق الله ولا تحدثن بالخطأ؛ إن الله تعالى لم يخلق إلا صوراً واحداً؛ وإنما هي نفختان، نفخة الصعق ونفخة القيامة، فقال لي: (يا فاجر، إنما يحدثني فلان عن فلان وتردّ عليّ؟ ! ثم رفع نعله فضربني بها، وتتابع القوم عليّ ضرباً معه. فوالله ما أقلعوا عني حتى حلفت لهم إن الله تعالى خلق ثلاثين صوراً له في كل صور نفخة فأقلعوا عني)[39].

ومن المؤسف أن هؤلاء القصاص– على جهلهم وجرأتهم في الكذب وترويجه– لقوا من العامة آذاناً صاغية، ولا يزال

العلماء يلقون منهم عنتاً كبيراً، وقد روى السيوطي، أن أحد هؤلاء القصاص جلس ببغداد، فروى تفسير قوله تعالى:

(عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً) الإسراء، 79، وزعم أن النبي ﷺ يجلس مع الله على عرشه، فبلغ ذلك محمد بن جرير الطبري، فغضب من ذلك وبالغ في إنكاره، وكتب على باب داره: "سبحان من ليس له أنيس ولا له على عرشه جليس"، فثارت عليه عوام بغداد، ورجموا بيته بالحجارة حتى استد بابه بالحجارة وعلت عليه.[40]

المبحث الثامن

أحاديث القصاص والمصنفات:

لم تقتصر أحاديث القصاص على الإخباريين وأهل الأسمار بل تعدت ذلك حين أوردها بعض المصنفين في العلوم الشرعية- مثل كتب التفسير وكتب الوعظ والزهد، وبعض المصنفين في التاريخ، دون أن ينبهوا عليها، بل إنهم يوردونها وكأنها صحيحة، مما ساعد على رواجها بين الناس، ثقة بهؤلاء المصنفين، وأكثر من يتلقف ذلك هم القصاص، الذين يسمعون الأحاديث الموضوعة، أو الكلام المنسوب إلى بعض الصالحين والزهاد، فينسبون ذلك للنبي ﷺ قال ابن الجوزي: "فترى القصاص يوردون منها ويزيدون فيها ما يوجب تحسيناً لها، وممن صنف لهم في هذا الحارث المحاسبي وأبو طالب المكي، وأبو حامد الطوسي، فإنهم أدرجوا في كتبهم أحاديث باطلة ولا يعلمون أنها كذب، وصنف جماعة من الأعاجم كتباً في الوعظ ملئوها بالأحاديث المحالة والمعاني الفاسدة..."[41]

قلت: ولم تسلم بعض كتب التفسير من إيراد الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات التي كانت مرتعا للقصاص ينهلوا منها ويزيدون فيها، مثل تفسير أبي إسحق الثعلبي[42]، وغيره، مما امتلأ بأحاديث القصاص وعجائبهم.

وقد وُصف الثعلبي**(ت: 427 هـ)** بأنه حاطب ليل، حيث يورد الغث والسمين، مما تناقله الإخباريون والقصاص، فقراءة مثل هذا التفسير تساعد على رواج تلك المكذوبات والغرائب العجيبات، قال الشيخ أبو شهبة: فقد ملأ كتابه هذا بالموضوعات والقصص الإسرائيلي الذي فسر به بعض القرآن الكريم، وذلك مثل ما ذكره في تفسير قوله تعالى: (إذ أوى الفتية إلى الكهف) الكهف/10.

فقد ذكر عن السدي ووهب وغيرهما كلاماً طويلاً في أسماء أصحاب الكهف وعددهم بل يروي أن النبي ﷺ طلب من ربه رؤية أصحاب الكهف فأجابه الله بأنه لن يراهم في دار الدنيا، وأمره أن يبعث لهم أربعة من خيار أصحابه ليبلغوهم رسالته... إلى آخر القصة التي لا يكاد العقل يصدقها"[43].

وكذا تفسير الزمخشري **(ت: 538)** على ما فيه من علم وفوائد بلاغية، لكنه شحنه بالأحاديث الواهية والموضوعة على طريقة القصاص، وقد تصدى له الحافظ الزيلعي(ت: 772) بتخريج أحاديثه وبيان ما هو صحيح مما هو واهي أو من الإسرائيليات[44].

وهكذا كتب الوعظ مثل "تنبيه الغافلين" لأبي الليث السمرقندي، وكتاب إحياء علوم الدين للغزالي،[45] ونحوها من كتب الوعظ والزهد، التي امتلأت بأحاديث ضعيفة أو منكرة أو موضوعة، كثير منها من وضع القصاص أو من ترويجهم، لصقت بأذهان هؤلاء المصنفين فرووها من حفظهم وكتبوها، وساعد على ذلك أنهم ليسوا محدثين ولا صلة لهم بنقد الحديث، وإن كانوا يُعدون من العلماء في مضمار التفسير أو مضمار الفقه وغير ذلك، لهذا قام ثُلة من علماء الحديث بالتصدي لهذه الكتب بالبيان والتنبيه أو عمل حواشي عليها لبيان واقع ما تضمنته من حديث.

مثل: أبي الفضل العراقي الذي صنف كتاب: "المغني عن حمل الأسفار في الأسفار" وجعله تخريجاً وبياناً لما في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي من أحاديث واهية، وكثير منها يقول عنها: "لا أصل له" أو "لم أجده"، ويعني بذلك أنه لم يجد له سنداً، وإن كان مشهوراً على ألسنة الناس أو في بعض الكتب.

وقد نبّه العراقي على خطورة النقل من بعض كتب التفسير فقال: "ولو نظر أحدهم في بعض التفاسير المصنفة لا يحل له النقل منها؛ لأن كتب التفاسير فيها الأقوال المنكرة والصحيحة، ومن لا يُميّز صحيحها من منكرها لا يحل له الاعتماد على الكتب..."[46]

المبحث التاسع

سبب انتشار أحاديث القصاص:

1- الجهل بالنقل، وهو السبب الرئيس فيمن يتعاطى القصص فهم ليسوا من أهل النقد، فلا يميزون بين الغث والسمين، ولا بين المحال والجائز، ولا بين ما يصح أن يكون من كلام النبوة وما لا يصح، بل يتناقلون ما يجدونه مكتوباً.

2- ثم قلة الورع، حيث إن فيهم كذابين، يضعون الأحاديث ويروجون الواهيات تكثراً بالرواية، وطمعاً في أعطيات الناس، وطلباً للشهرة.

3- ثم تعاملهم مع الجهال من العوام، فلا ينكر عليهم أحد، حيث إنهم يتصدرون المجالس، ويتفيهقون في الكلام، وينالون إعجاب العوام بما يوردونه من غرائب.

قال ابن الجوزي: " والعالم عند العوام من صعد المنبر"[47].

4- ثم اشتغالهم بتفسير آيات القرآن التي لها صلة ببني

إسرائيل، حيث يلحظون شغف كثير من الناس بذكر التفاصيل التي لم ترد في الكتاب والسنة، فينهمكون في ذلك لينالوا الحظوة عند الناس، ولو بالكذب وإيراد الإسرائيليات التي لا تصح في شرعنا، فمن ذلك: ما أوردوه بحق نبي الله سليمان وداود ويوسف وموسى وغيرهم، ولم تخل منه كثير من كتب التفسير.

وقد أسند ابن الجوزي: أن أبا كعب القاص، قال يوما في قصصه: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا، فقالوا له: فإن يوسف لم يأكله الذئب، قال: فهو اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف[48].

5- استعمالهم أسانيد معروفة مشهورة، وتركيب ما يريدون ترويجه عليها، فمن ذلك ما أسنده ابن حبان البُستي، قال: "دخلت باجروان- مدينة بين الرقة وحران- فحضرت الجامع، فلما فرغنا من الصلاة قام بين أيدينا شاب، فقال: حدثنا أبو خليفة، حدثنا الوليد، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ (من قضى لمسلم حاجة فعل الله به كذا وكذا... فلما فرغ دعَوْته فقلت: رأيتَ أبا خليفة؟ قال: لا. قلت: كيف تروي عنه ولم تره؟ فقال: إن المناقشة معنا من قلة المروءة، أنا أحفظ هذا الإسناد الواحد، وكلما سمعت حديثاً ضممته إلى هذا الإسناد."[49]

وهذا الصنيع من قلة المروءة أيضا، فالسند وإن كان مركبا، وقد يمشي على العوام، لأن الذي يتحدث به يتصدر المجالس ويرقى المنبر، والعامي ينظر لمن يتصدر التحديث بأنه عالم ولا يخطر بباله أن هناك من يكذب على رسول الله- ﷺ- لكن العلماء الجهابذة لمثل هؤلاء بالمرصاد، فهم لا يغرهم السند بل ينظرون لمن جاء بهذا السند، ويحاسبونه بالتاريخ، ومن هنا اكتشفوا الكذابين وعرفوا سارقي الروايات، قال الناقد سفيان الثوري: "لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ"[50].

المبحث العاشر

جهود العلماء في مكافحة أحاديث القصاص:

1- كان من ذلك التحذير من تحديثهم أو من الاستماع إليهم، أخرج ابن الجوزي عن أبي الوليد الطيالسي قال: "كنت مع شعبة، فدنا منه شاب، فسأل عن حديث، فقال له: أقاصٌّ أنت؟ قال: نعم. قال: اذهب فإنا لا نُحدثُ القاصَّ، فقلت له لم يا أبا بِسطام؟ قال: "يأخذون الحديثَ منا شبراً فيجعلونه ذراعاً"[51].

وأخرج ابن الجوزي عن أيوب قال: "ما أفسد على الناس حديثَهم إلا القصاصُ"[52].

2- وكان من ذلك تصنيف الكتب التي تبين منهجهم وتحلل أسباب صنيعهم وتحذر من أكاذيبهم وباطلهم، فمن ذلك:

أ. كتاب القصاص والمذكرين، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى سنة 597 هـ وهو مطبوع.

ب. أورد ابن الجوزي أيضاً فصولاً عن القصاص في بداية كتابه الموضوعات، وبيّن أن من مقاصده في هذا الكتاب بيان أن كثيراً من القصاص يوردون الموضوعات، وأن خلقاً من الزهاد يتعبدون بها[53].

وابن الجوزي معروف بجهوده الفذة في محاربة الوضع والدس في المرويات، ويكفيه فخرا تأليف كتاب "الموضوعات" ذائع الصيت، وكتاب "العلل المتناهية في الأحاديث الواهية" وقد اعتمد رحمه الله نقد السند والمتن معاً للحكم برد الأحاديث، وله معايير واضحة بينها العلماء، ومن معاييره في ذلك مشابهة الحديث المروي لأحاديث القصاص.

ج. ثم ابن تيمية **(ت: 728هـ)** في كتابه: "أحاديث القصاص"، حيث سُئل عن كثير من أحاديثهم وبين أن أكثرها إما ضعيف أو موضوع أو لا أصل له، وبلغت 79 حديثاً.

د. ثم كتب أبو الفضل عبد الرحيم العراقي(ت: 806) "الباعث من الخلاص من أحاديث القصاص" وقد استفتحه بذكر الأحاديث التي تنهى عن المحدثات والبدع، مثل حديث العرباض بن سارية: (فإيّاكم ومحدثاتِ الأمور فإنها ضلالة...)[54]

ومثل حديث عائشة – رضي الله عنها-: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[55].

هـ. ثم كتب جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) "تحذير الخواص من أكاذيب القصاص"، وقد استفاد ممن قبله، فكان كما قيل: (كلُّ الصيدِ في جوف الفِرا)[56].

وقد ذكر السيوطي في مقدمة كتابه سببه تصنيفه لكتاب، فبين أن رجلاً دجالاً من القصاص كان يفتري الأكاذيب على رسول الله- ﷺ- وقد بلغ المصنف شيئا منها فأنكره وبين بطلانه، مما أغضب ذلك القاص وجعله يُغري العوام بالحافظ السيوطي، فصنّف هذا الكتاب للتحذير منهم[57].

وقد خصص السيوطي الفصل الخامس من كتابه لبيان عقوبة من يتجرأ على رواية الأحاديث الباطلة والمنكرة، وهو فصل مفيد، وهو يشير به إلى أهمية صيانة المجتمع من أباطيل القصاص، لما فيها من إساءة للدين وإيذاء للمجتمع، وتعدي على أهل التثبت من المختصين برواية الحديث أو القيام بواجب الوعظ عن علم وعن رصيد من الورع والتقوى.

المبحث الحادي عشر

موقف النقاد من هذا النوع من المرويات:

قد يستنكر الناقد حديثا معيناً فيرى أن فيه ألفاظاً فيها

مبالغة، وأن فيه سرداً غير معهود بأحاديث النبي الكريم ﷺ إنما هي معهودة في أحاديث القصاص المعروفة بطولها وكثرة المبالغات وكثرة التفصيلات والكلام الغريب، فإذا جاء حديث من هذا الجنس استنكروه وقالوا: "يُشبه أحاديث القصاص"، يقولون ذلك ولو كان سنده ظاهره الصحة، لهذا كان مشابهة الحديث المروي لأحاديث القصاص أحد معايير النقد عند علمائنا حيث لا يخفى عليهم أن ذلك الأسلوب ليس بأسلوب النبي الكريم إنما أسلوب القصاص لفظاً ومعنى.

والمقدار الذي لعبه القُصّاص في الكذب في الحديث كان كبيراً، والقصص التي تنقل عنهم تشعر بذلك حتى أدى ذلك إلى اتهام غالب القُصّاص، حيث غالبهم همته جمع المال، أو الحصول على الحظوة والسمعة. وقد جاء عنهم مرويات يجزم من عنده علم وملكة نقد أن ذلك مكذوب مفترى لا يصح أن يُنسب للنبي ﷺ فأخبار القُصّاص التي ذكرها علماؤنا تعكس مدى تجرئهم على الشريعة، ووقوعهم في الكذب والتخرص.

إن أمانة العلم تقتضي بيان الحق، التزاماً بقوله تعالى: **(لتُبَيِّنُنَّه للناس ولا تكتمونه) آل عمران/187.**

ومن الحق الذي يجب بيانه خطورة الكذب على رسول الله- ﷺ- وبيان ما يقع فيه القصاص ومن يتصدى للحديث والوعظ من أخطاء جسيمة في ترويج الأحاديث الموضوعة والأحاديث الواهية، من خلال التساهل في روايتها وعدم التثبت من صحة ما يروون، وقد كان هذا ديدن علماء الإسلام على مر العصور:

1- أورد الذهبي في الميزان من طريق الحاكم عن أبي العباس السراج قال: "شهدت محمد ابن إسماعيل البخاري ودُفع إليه كتاب من ابن كرام يسأله عن أحاديث منها: الزهري عن سالم عن أبيه، مرفوعاً: (الإيمان لا يزيد ولا ينقص) فكتب محمد بن إسماعيل على ظهر كتابه: من حدّث بهذا استوجب الضرب الشديد والحبس الطويل[58]

2- وقال الذهبي: قال أبو داود: سمعت يحيى بن معين يقول في سويد الأنباري: هو حلال الدم،.. لو كان لي فرس ورمح غزوت سويداً[59].

قال هذا عندما علم أنه يحدث بما يتناقله القصاص: (من عشق وعفّ فكتم فمات فهو شهيد)، وهو حديث منكر موضوع.

وهذا يدل على مدى استعظامهم لرواية المنكرات التي لا تليق بالنبي ﷺ ويُحمل ما صدر عن ابن معين على الزجر والاستعظام، وأن من يفعل مثل ذلك يستحق أقصى العقوبات لكونه يروي عن النبي المكرم ما هو مستبشع.

3- وقال الدارقطني: "فإن ظنّ ظانّ أو توهم متوهم أن التكلم فيمن روى حديثاً مردوداً غيبة له؛ يقال له: ليس هذا كما ظننت؛ وذلك أن إجماع أهل العلم على أن هذا واجب ديانة ونصيحة للمسلمين، وقد حدثنا القاضي أحمد بن كامل، ثنا أبو سعيد الهروي، ثنا أبو بكر بن خلاد، قال: قلت ليحيى بن سعيد القطان: أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله عز وجل؟ قال: لأن يكون هؤلاء خصمائي أحبُّ إليّ من أن يكون النبي ﷺ خصمي يقول لي: لمَ لمْ تذب الكذب عن حديثي؟".

قال: "وإذا كان شاهد الزور في حق يسير تافه حقير يجب كشف حاله؛ فالكاذب على رسول الله ﷺ أحق وأولى..."[60].

وعلى هذا المنهج سار علماء الحديث ونقاده فحفظوا السنن على المسلمين، لضبطهم وانتقادهم للرواة وتمييزهم للصحيح من السقيم، ولولا ذلك لكثرت البدع وظهر التحريف كما ظهر في الأمم الماضية، ومن هنا تأتي قيمة الكلمة الجميلة التي لا تزال تتجدد ويظهر وزنها في كل زمن: (لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)[61]، ومن سرق الأسانيد أو ركبها كان له علماء النقد بالمرصاد، فعرفوا الأسانيد المزيفة والمركبة، كما عرفوا المتون المنكرة التي لا تليق بالأنبياء إنما تليق بالقصاص وأضرابهم.

المبحث الثاني عشر

نماذج من أحاديث القُصّاص التي أعلها النقاد:

1- أخرج الطبراني في الكبير، والأوسط، والعقيلي، من طريق الحارث بن عبد الملك الليثي، عن القاسم بن يزيد بن عبد الله بن قُسيط، عن أبيه، عن عطاء، عن ابن عباس عن أخيه الفضل بن عباس، قال: (جاءني رسولُ الله ﷺ فخرجتُ إليه فوجدته موعوكاً قد عصب رأسَه فأخذ بيدي وأخذتُ بيده، فأقبل حتى جلس على المنبر ثم قال: نادِ في الناس فصحت في الناس فاجتمعوا إليه فقال: أما بعد أيها الناس، فإني أحمدُ إليكم اللهَ الذي لا إله إلا هو، وإنه دنا مني خُلوفٌ بين أظهركم، فمن كنت جلدتُ له ظهراً فهذا ظهري فليَسْتَقِدْ منه، ومن كنتُ شتمتُ له عِرضاً فهذا عِرضي فليَسْتقِد منه، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يقولنَّ رجل إني أخشى الشَحناءَ من رسول الله ﷺ، ألا وإن الشحناء ليس من طبيعتي... إلى قوله: فضحك رسول الله ﷺ وقال: عمر معي وأنا مع عمر، والحق بعدي مع عمر حيث كان.)[62].

نقل ابن رجب عن علي بن المديني قال: إنه يُشبه أحاديث القصاص، وليس يُشبه أحاديث عطاء بن أبي رباح.[63]

قلت: لأن عطاء الذي في السند مبهم، وعطاء بن أبي رباح معروف بالرواية عن ابن عباس، فلذلك أراد ابن المديني أن ينفي هذا الوهم، لأن مثل هذا الحديث الذي هو أشبه بأحاديث القصاص وغرائبهم لا يصدر عن عطاء بن أبي رباح.

وقد نقل العقيلي عن ابن المديني قال: ليس له أصل من حديث عطاء ابن أبي رباح، ولا عطاء بن يسار، وأخاف أن يكون عطاء الخراساني، لأنه يرسل عن ابن عباس.

قال الذهبي: أخاف أن يكون كذبا مختلقا[64]، وقال الطبراني في الأوسط: "تفرد به الحارث بن عبد الملك" قلت: وهو مجهول[65].

2- ومنه قول أبي أحمد الحاكم: في حديث علي الطويل في الدعاء لحفظ القرآن،: "إنه يُشبه أحاديث القصاص"[66]

حيث روى الترمذي[67] والحاكم[68]: من طريق سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، أخبرنا الوليد بن مسلم، أخبرنا ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس، أنه قال: (بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي بن أبي طالب فقال: بأبي أنت وأمي، تفلَّت هذا القرآن من صدري، فما أجدني أقدر عليه.

فقال رسول الله ﷺ: (يا أبا الحسن ! أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، وينفع بهن من علمته، ويثبت ما تعلمت في صدرك؟ قال: أجل يا رسول الله ! فعلمني. قال: إذا كان ليلة الجمعة، فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر، فإنها ساعة مشهودة، والدعاء فيها مستجاب، وقد قال أخي يعقوب لبنيه: (سوف أستغفرُ لكم ربي) يوسف: 98 يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة – فإن لم تستطع، فقم في وسطها، فإن لم تستطع فقم في أولها، فصل أربع ركعات: تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة (يس)، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب و(حم) الدخان، وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب و(ألم. تنزيل) السجدة، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب و(تبارك) المفصل، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله، وأحسن الثناء على الله وصل عليّ وأحسن، وعلى سائر النبيين، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل في آخر ذلك:...

اللهم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام ! أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري، وأن تطلق به لساني، وأن تفرج به عن قلبي، وأن تشرح به صدري، وأن تعمل به بدني؛ فإنه لا يعينني على الحق غيرك، ولا يؤتيه إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يا أبا الحسن ! فافعل ذلك ثلاث جمع، أو خمسا، أو سبعاً؛ تُجاب بإذن الله. والذي بعثني بالحق ! ما أخطأ مؤمناً قط.

قال عبد الله بن عباس: فوالله ! ما لبث علي إلا خمساً أو سبعاً حتى جاء رسول الله ﷺ في مثل ذلك المجلس، فقال: يا رسول الله ! إني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات، ونحوهن. وإذا قرأتهن على نفسي تفلتن، وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها، وإذا قرأتها على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني، ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلت، وأنا اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفاً. فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك:

مؤمن – وربِّ الكعبة – يا أبا الحسن).

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم.

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قال الألباني[69]: في طبعة بولاق والدعاس: "حسن"، وقد نقل الحافظ ابن عساكر عبارة الترمذي المذكورة دون لفظة: "حسن" وكذلك الحافظ الضياء، وهو الأقرب إلى الصواب واللائق بهذا الإسناد؛ فإن الوليد بن مسلم يدلس تدليس التسوية..، فهو علة الحديث، وإن خفيت على كثير كالحاكم وغيره؛ فإنه قال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين".

وتعقبه الذهبي بقوله: "هذا حديث منكر شاذ، أخاف أن يكون موضوعاً، وقد حيرني والله جودة سنده" !

قلت: وكأن الحافظ الذهبي رحمة الله تعالى لم يتذكر قوله في "الميزان":

"قلت: إذا قال الوليد: عن ابن جريج، أو عن الأوزاعي؛ فليس بمعتمد؛ لأنه يدلس عن كذابين، فإذا قال: "حدثنا" فهو حجة، وقال أبو مسهر: كان الوليد يأخذ من ابن السفر حديث الأوزاعي، وكان ابن السفر كذاباً، وهو يقول فيها: قال الأوزاعي.

وأما رواية الطبراني فمما لا يفرح به ! لأنها من طريق محمد بن إبراهيم القرشي: حدثنا أبو صالح عن عكرمة عن ابن عباس به، نحوه.

أخرجه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" والطبراني في "المعجم الكبير"، والعقيلي في "الضعفاء" في ترجمة القرشي. وعلّقه من الطريق الأولى ثم قال:

"ليس يرجع من هذا الحديث إلى صحة، وكلا الحديثين ليس له أصل، ولا يتابع عليه".

وأبو صالح هو إسحاق بن نجيح الملطي، وهو وضاع دجال. ومن طريقه أخرجه أبو أحمد الحاكم في "الكنى" (ق235/ 1-2) وقال: "وهذا حديث منكر، وأبو صالح هذا رجل مجهول وحديثه هذا يشبه حديث القصاص".

انتهى كلام الشيخ الألباني – رحمه الله- وهو كلام رصين محقق.

3- عن أنس: عن النبي ﷺ (إذا كان يومُ القيامةِ كنتُ أولَ من تنشقُّ الأرضُ عنى ولا فخرَ ويتبعنى بلالٌ المؤذنُ ويتبعه سائرُ المؤذنين وهو واضعٌ يدَه فى أذنيه وهو ينادى أشهدُ أنَّ لا

إلهَ إلا اللهُ وأن محمدا رسولُ الله أرسله بالهدى ودينِ الحقِّ ليظهرَه على الدينِ كلِّه ولو كره المشركون وسائرُ المؤذنين ينادون معه حتى يأتى أبواب الجنة).

وفيه حكامة بنت عثمان بن دينار، قال العقيلى: أحاديثها تشبه أحاديث القصاص ليس لها أصول[70].

4- قال ابن أبي حاتم: وسألت أبي عن حديث رواه موسى بن أيوب، عن الجراح بن مليح، عن أرطأة بن المنذر، عن عبادة بن نسي، عن ابن غنم، عن معاذ بن جبل، عن النبي- ﷺ، قال من بلغ كتاب غاز في سبيل الله إلى أهله، كان له بكل حرف منه عتق رقبة، وأعطاه كتابه بيمينه، وكتب له براءة من النار، ومن أطعم ثلاثة من الغزاة في سبيل الله، أو سقاهم، أطعمه الله... وذكر الحديث.

قال أبي هذا شبه الموضوع، يشبه حديث محمد بن سعيد الأزدي، أخذه عنه، يشبه أن وقع إليه، وأرطأة لم يسمع من عبادة بن نسي شيئا[71].

قلت: قول أبي حاتم: شبه الموضوع... هو استنكار للمتن لأنه رأى فيه شبها بأحاديث القصاص الموضوعة لما فيه من المبالغة والغرائب.

ومثل هذه الأحاديث تقع لبعض الرواة أمثال موسى بن أيوب، وهو ابن عيسى النصيبي، وهو وإن وثقه العجلي وابن حبان[72]، إلا أن تفرد مثله بمثل هذا يُستنكر ولا يُقبل، وشيخه الجراح بن وكيع ضعيف الحديث، لا يُحتج به[73].

5- ومن ذلك حديث يرويه عمر بن يزيد الرقّاء، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي وائل، عن عبد الله، عن النبي ﷺ:

"ما بال أقوام يشرفون المترفين، ويستخفون بالعابدين، ويعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم، وما خالف أهواءهم تركوه، فعند ذلك يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، يسعون فيما يُدرك بغير سعي من القدر والمقدور، والأجل المكتوب، والرزق المقسوم.[74]

قال ابن عدي: هذا يُعرف بعمر بن يزيد عن شعبة، وهو بهذا الإسناد باطل.[75]

وقال العقيلي: وليس لهذا الحديث أصل من حديث شعبة، وهذا الكلام عندي- والله أعلم- يُشبه كلام عبد الله بن المسور الهاشمي المدائني، وكان يضع الحديث، وقد روى عمرو بن مرة عنه، فلعل هذا الشيخ حمله عن رجل عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن المسور مرسلا، وأحاله على شعبة.[76]

قال ابن رجب: والأمر على ما ذكره العقيلي رحمه الله[77].

فيلاحظ كيف أدرك العقيلي أن الحديث ليس من حديث شعبة إذ ليس له أصل عن شعبة بمعنى أن أصحاب شعبة لم يرو أحد منهم هذا الحديث، فهو غريب مستنكر حيث لم يروه ثقة عن شعبة، ولكونه أيضا يشبه أحاديث القصاص الذين يتألفون قلوب الناس بمثل هذه الأحاديث التي يظهر فيها أثر الصنعة والكذب على الرسول الكريم ﷺ.

وقد أدرك العقيلي أن عمر الرقاء أخذه عن رجل ضعيف عن عمرو بن مرة المعروف بالرواية عن الكذاب عبد الله بن المسور المدائني، فأسقط الضعيف وألصقه بشعبة، وهذا الأمر لا يخفى على النقاد الذين يعرفون أحاديث شعبة ويعرفون أحاديث المدائني الكذاب، فالرواية التي تليق بشعبة غير الرواية التي تليق بالمدائني. فرحم الله نقاد الحديث.

6- قال الشيخ ابن جبرين في سياق كلامه عن عقوبة آكل الربا: ورد فيه أحاديث فيها وعيد شديد، ولكن يظهر أنها من أحاديث القصاص، ولو كانت أسانيدها مقاربة، مثل الحديث الذي فيه: " درهم ربا أشد إثما من سبع أو ست وثلاثين زنية "، هذا الحديث إسناده مضطرب، ولكن يظهر أنه من أحاديث القصاص الذين يقصون ويتساهلون في الرواية. [78]

وكذلك حديث آخر بلفظ "الربا سبعون حُوباً أو ست وسبعون حُوباً أهونها مثل أن يَنكحَ الرجلُ أُمَّه " هذا - أيضا- من أحاديث القصاص يعني: يظهر أنها ليست صحيحة؛ وذلك لأن هناك قصاصا كانوا يأخذون ما وجدوا فربما يسمعون الحديث من أحد العامة فيرونه ويجعلونه حديثا فيسمعه من يرويه، ويصدر به[79].

قلت: الحديث الأول رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس مرفوعا، وهو ضعيف السند، وقد ضعفه الشيخ ناصر في ضعيف الجامع[80].

ومما يدل على نكارته، الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: (انه قيل لرسول الله ﷺ-: أي الذنب اشد؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قيل: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة الفقر. قيل: ثم أي قال: أن تزاني حليلة جارك)[81] فجعل رسول الله ﷺ في هذا الحديث الزنا في المرتبة الثالثة وقرنه بالشرك والقتل.

خاتمة

يتبين من خلال هذه الدراسة:

- أن تاريخ القصص بدأ مبكراً لكن على سبيل الوعظ والتذكير والدعوة إلى الله تعالى.
- مع ظهور الفتنة وظهور أهل البدع كالخوارج وغيرهم بدأ القصص يتخذ منحى فيه انحراف عن المنهج القويم، من خلال استعماله مطية لتأييد الفرق أو التكسب.
- لما لم يجد القصاص في صحيح السنة ما يروي غليلهم لجأ

كثير منهم للكذب.

- أكثر القصاص ليس من أهل النقد أو التثبت والمعرفة فراجت عليهم مرويات منكرة وأحاديث باطلة فرووها على أنها ثابتة.
- تمتاز مرويات القصاص بكونها ركيكة في لفظها، فاسدة في معناها، بعيدة عن الأسلوب النبوي في الحديث، لهذا عرف النقاد طابعها وميزوها، ونقدوا كل رواية تتخذ طابع أحاديث القصاص.
- بذل العلماء جهوداً مشكورة في مكافحة أحاديث القصاص من خلال التحذير منها وبيان طابعها، وتأليف الكتب التي تبين حقيقتهم وأغراضهم.
- أحاديث القصاص تجدها في كتب الوعظ والتفسير، وفي كتب الترغيب والترهيب، وتتسم بكونها مناكير يتفرد بها الضعفاء والوضاعون، ووجودها في الكتب المذكورة ساعد على نشرها لثقة الناس بمصنفيها، وما دروا أن جلالة المصنف في الفقه أو التفسير لا تعني أنه متثبت في الحديث.
- أحاديث القصاص ما زالت تنتشر في المجتمع المسلم، من خلال كتب الزهد والوعظ، ومن خلال كثير من الخطباء أو الوعاظ، فالقاص الذي لا يعي خطورة ما يروي تجده في ثياب الخطيب أو الواعظ.
- تبين هذه الدراسة أهمية نشر الوعي بطابع أحاديث القصاص، ومن ينشرها، وعاقبة الترويج لها.

الهوامش

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، ط1 ج256/8. ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، ط1، مادة قصص.

(2) ابن الجوزي، القصاص والمذكرين، عبد الرحمن بن علي، ص 66.

(3) ابن أبي حاتم، تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل، ص 351. ابن رجب، شرح العلل، ط1، ج775/2-776.

(4) الخطيب البغدادي، الكفاية، الخطيب، ص 431.

(5) المرجع السابق.

(6) ابن القيم، المنار المنيف، ص 61-62.

(7) ذكره البيهقي في شعب الإيمان، ط1، ج199/1. وأخرج أحمد برقم: 14631 تحقيق الشيخ شعيب، وأبو يعلى في مسنده (ج102/4) وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تكذبوا بحق وإنه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني)، وإسناده ضعيف.

(8) ابن الجوزي، القصاص والمذكرين، مرجع سابق: 66-67.

(9) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(10) مسند أحمد، 499/3، برقم 15288، وابن أبي عاصم في التذكير والمذكر، ط1، رقم3، بسند صحيح، ومن طريق أحمد: ابن الجوزي، في القصاص والمذكرين: 77.

(11) يقصد عمر – رضي الله عنه– أن من يتصدى للفتوى وتعليم الناس فقد وضع نفسه في مكان عظيم من المسؤولية، ويتعرض لخطر عدم القيام بالأمانة كما ينبغي، وكذلك ما قد يلبس عليه الشيطان من حب الرياء والسمعة.

(12) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ط1، ج81/11.

ونقله السيوطي في تحذير الخواص من أحاديث القُصاص، ط2، ص 188.

(13) السيوطي، تحذير الخواص من أحاديث القصاص، نقلا عن العراقي، ص 172، 176.

(14) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ط1، ج463/5.

(15) ابن أبي عاصم، التذكير والمذكر، رقم 4، مرجع سابق، ابن الجوزي، والقصاص والمذكرين: 77، تحذير السيوطي، الخواص من أكاذيب القصاص، ص 195.

(16) ابن الجوزي، القصاص والمذكرين، ص78، تحذير الخواص: ص 197 وإسناده صحيح.

(17) ابن أبي عاصم، التذكير والمذكر، مرجع سابق، حديث رقم: 14 وإسناده صحيح.

(18) صحيح مسلم، المقدمة، باب أن الإسناد من الدين والرواية لا تكون إلا عن الثقات، ص 20، القصاص والمذكرين، ابن الجوزي، حديث رقم: 194، تحذير الخواص، السيوطي: 184.

(19) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج169/24، ط1.

(20) الخوانق: جمع خانق، المكان الضيق، وأهل اليمن يُطلقون على الزقاق خانق، (لسان العرب مادة خنق).

(21) عجفرا: اسم بلدة، لم أهتد إلى موضعها الآن في ما رجعت إليه من المصادر، ومنها معجم البلدان.

(22) الصغاني، الموضوعات، ص 1، ط2.

(23) أخرجه مسلم. في المقدمة،باب وجوب الرواية عن الثقات، رقم1، وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الأدب، باب ما ذكر من علامات لنفاق، رقم: برقم3524، من حديث سمرة بن جندب، بسند صحيح.

(24) شرح النووي على صحيح مسلم، ج77/1.

(25) ابن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، ص188-189.

(26) المرجع السابق، الموضع نفسه.
(27) المرجع السابق، ص 188.
(28) المرجع السابق، ص 189–192.
(29) ابن الجوزي، القصاص والمذكرين، مرجع سابق: 152.
(30) المرجع السابق، ص 162.
(31) ابن الجوزي، الموضوعات، ج44/1.
(32) السيوطي، تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، نقلا عن زين الدين العراقي، ص 179، 180.
(33) صحيح مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، ج1/ ص 10.
(34) ابن تيمية، أحاديث القصاص، ط1، ص 68.
(35) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط1، ج231/2.
(36) ابن المنير، الانتصاف من الكشاف بحاشية الكشاف للزمخشري، تفسير قوله تعالى: (وخرّ موسى صعقاً) الأعراف/143.
(37) الألوسي، تفسير روح المعاني، ج46/9.
(38) أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص201.
(39) المرجع السابق، ص 149.
(40) السيوطي، تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، ص 161.
(41) ابن الجوزي، القصاص والمذكرين، مرجع سابق: 153.
(42) واسم تفسيره: الكشف والبيان، لأحمد بن محمد النيسابوري، الثعلبي، وهو مطبوع بتحقيق ابن عاشور أبو أحمد، وهو في عشر مجلدات، وقد ذكر ابن تيمية أنه يحوي كثيرا من الأحاديث الموضوعة والبدع، وأن البغوي في اختصاره حذف ما فيه من الموضوعات والبدع.
(43) أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 126.
(44) الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري: ط 1.
(45) سئل ابن تيمية عن هذا الكتاب فأجاب بقوله:
"أما كتاب (قوت القلوب)، وكتاب(الإحياء) تبعٌ له فيما يذكره من أعمال القلوب مثل الصبر والشكر والحب والتوكل والتوحيد ونحو ذلك، وأبو طالب أعلم بالحديث والأثر وكلام أهل علوم القلوب من الصوفية وغيرهم من أبى حامد الغزلي، وكلامه أَسَدُّ، وأجود تحقيقاً وأبعد عن البدعة، مع أنَّ في قوت القلوب أحاديث ضعيفة وموضوعة وأشياء كثيرة مردودة، وأما ما في الإحياء من الكلام في المهلكات مثل الكلام على الكبر والعجب والرياء والحسد ونحو ذلك فغالبه منقول من كلام الحارث المحاسبي في الرعاية، ومنه ما هو مقبول، ومنه ما هو مردود، ومنه ما هو متنازع فيه، والإحياء فيه فوائد كثيرة لكن فيه مواد مذمومة، فإن فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد، فإذا ذكر معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدواً للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين، وقد أنكر أئمة الدين على أبى حامد هذا في كتبه، وقالوا مَرَّضَهُ " الشفاء " يعنى شفاء ابن سينا في الفلسفة.
وفيه أحاديث وآثار ضعيفة، بل موضوعة كثيرة. وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وتُرهاتهم. وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافق للكتاب والسنة، ومن غير ذلك من العبادات والأدب ما هو موافق للكتاب والسنة، ما هو أكثر مما يرد منه، فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فيه." انتهى مجموع الفتاوى ج10 ص55).
(46) السيوطي، تحذير الخواص، ص 179، نقلاً عن العراقي.
(47) ابن الجوزي، القصاص والمذكرين: 158.
(48) المرجع السابق: 162.
(49) ابن حبان، المجروحين، المقدمة: ج72/1، ابن الجوزي، الموضوعات، ج47/1.
(50) الكفاية في علم الراوية، الخطيب البغدادي، ج119/1، ط1.
(51) ابن الجوزي، القصاص والمذكرين: 152، الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي: 226/2.
(52) أبو نعيم، حلية الأولياء: 11/3، ابن الجوزي، القصاص والمذكرين: 153.
(53) ابن الجوزي، الموضوعات، ج29/1.
(54) سبق تخريجه هامش 3 (أخرجه أبو داود والترمذي وصححه).
(55) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة...، رقم: 1718.
(56) مثل قديم، وقد رُوي أن النبي– صلى الله عليه وسلم– تمثّل به، يتألف به أبا سفيان،(ذكره العجلوني في "كشف الخفاء" 2/ 121 (1977)، وعزاه للرامهرمزي في "الأمثال" عن نصر بن عاصم الليثي، وقال: سنده جيد، لكنه مرسل).
والفرا هو الحمار الوحشي، يُضرب المثل لمن يُفضل على أقرانه، حيث إن من يصيد الحمار الوحشي، يفضل على من يصيد غيره من الأرانب ونحوها.
العسكري، جمهرة الأمثال، ط2، ج162/2.
(57) السيوطي، تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، ص 4–5.
(58) الذهبي، ميزان الاعتدال، 21/4
(59) الذهبي، المرجع السابق، ج249/2
(60) مقدمة كتاب الضعفاء والمتروكين: 11– 13، ط1.
(61) قالها محمد بن سيرين، أحد كبار التابعين، (مقدمة صحيح مسلم).
(62) الطبراني، المعجم الأوسط، ط1، ج104/3، رقم: 2629، والمعجم الكبير، ط2، ج280/18، الضعفاء الكبير للعقيلي، ج483/3، ترجمة 1541.
(63) ابن رجب، شرح العلل، ج770/2.
(64) الذهبي، ميزان الاعتدال،ج382/3 ترجمة رقم: 6855.

(65) الحارث بن عبد الملك الليثي، ذكره البخاري في التاريخ الكبير، (273/2، ترجمة رقم: 2438) وسكت عليه، وذكره ابن حبان في الثقات على عادته في توثيق المجاهيل(ترجمة رقم: 12872).

(66) عزاه الألباني له في سلسلة الضعيفة، كما سيأتي، ولم أجده في كتاب "الكنى" لأبي أحمد الحاكم.

(67) الترمذي، السنن، كتاب الذكر والدعوات، باب دعاء الحفظ، 563/5، حديث رقم: 3570.

(68) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج461/1، رقم: 1190.

(69) الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ط1، ج384/7، حديث رقم: 3374.

(70) أخرجه العقيلى (200/3، ترجمة 1199 عثمان بن دينار) وقال: تروى عنه حكامة ابنته أحاديث بواطيل ليس لها أصل. وأورده ابن الجوزي فى الموضوعات 565/3، رقم 1794).

(71) ابن أبي حاتم، علل الحديث، ج327/1،مسألة رقم: 975.

(72) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ج338/12.

(73) المرجع السابق، ج32/2.

(74) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير، ج193/10، رقم: 10432، والبيهقي في شعب الإيمان: ج72/2، رقم: 1195.

(75) الكامل في الضعفاء، ابن عدي، ط3، ج55/5، رقم: 1228.

(76) الضعفاء الكبير، العقيلي، ط1، 195/3، رقم: 1193.

(77) ابن رجب، شرح العلل،772/2.

(78) ابن جبرين، شرح أخصر المختصرات، ج86/3 (عن الموسوعة الشاملة).

(79) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(80) رقم: 6715، لكنه ذكره أيضا في السلسلة الصحيحة، حديث رقم: 1033، في المجلد الثالث، وصححه من حديث عبد الله بن حنظلة، بعد أن ذكر الاختلاف في رفعه ووقفه، وأن بعض أهل العلم كالبغوي والدار قطني رجح وقفه على كعب الأحبار، لكنه اختار التصحيح، وقد غفل عما فيه من مبالغة غير معهودة في الشريعة بحق ذنب من الذنوب. ثم إن حكم السابقين أقرب للصواب إن شاء الله تعالى.
ثم وجدته ذكره في صحيح الترغيب برقم1854 وقال: صحيح موقوف، وروى أحمد بإسناد جيد عن كعب الأحبار قال لأن أزني ثلاثا وثلاثين زنية أحب إلي من أن آكل درهم ربا يعلم الله أني أكلته حين أكلته ربا. فهذا تناقض.

(81) صحيح البخاري، كتاب المحاربين، باب إثم الزناة، رقم: 6426.

المصادر والمراجع

الآلوسي، روح المعاني، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

ابن أبي حاتم، علل الحديث، دار المعرفة، بيروت، 1985.

ابن أبي عاصم، التذكير والمذكر، تحقيق خالد الردادي، دار المنار، الرياض، ط1.

ابن الجوزي، القصاص والمذكرين، عبد الرحمن بن علي، تحقيق: قاسم السامرائي، 1403، دار أمية للنشر، الرياض، ط1.

ابن الجوزي، الموضوعات، تحقيق عبد الرحمن محمد، دار الفكر العربي، بيروت، ط2.

ابن تيمية، أحاديث القصاص، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، ط1.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب، عبدالرحمن بن محمد قاسم، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

ابن حبان، المجروحين، تحقيق حمدي السلفي، دار الصميعي، الرياض، ط1.

ابن رجب، شرح العلل، تحقيق نور الدين عتر، ط1.

ابن سعد ابو نعيم، طبقات ابن سعد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

ابن عساكر، تاريخ دمشق، دار الفكر، بيروت، ط1.

ابن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط.

ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط1.

ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط1.

أبو داود، سنن أبي داود السجستاني، تحقيق عزت الدعاس، دار الحديث، بيروت، ط1.

أبو شهبة، محمد، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، دار الجيل بيروت، 2005.

أبو نعيم الأصبهاني، الضعفاء تحقيق فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1.

الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق عبد الكريم العزباوي، ومحمد علي النجار، مطابع سجل العرب، ط1.

الألباني، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ط جديدة، 1995.

الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق أحد شاكر وآخرون، دار إحياء لتراث العربي، بيروت.

الترمذي، جامع الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وآخرون، دار الكتب العلمية، ط1.

الجوزقالي، الاباطيل، تحقيق عبد الرحمن الفريواني، ط1، الهند.

الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط1.
الدارقطني، الضعفاء والمتروكين، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
الدولابي، الكنى والأسماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1983.
الذهبي، ميزان الاعتدال، دار الفكر العربي، تحقيق البجاوي، د.ط.
الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، دار ابن خزيمة، الرياض 1414، ط1، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد.
السيوطي، تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، تحقيق الصباغ، ط1.
صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، البابي الحلبي، مصورة.
العقيلي، الضعفاء الكبير، تحقيق قلعجي، ط1.
محمد بن الحسن الصغاني، الموضوعات، تحقيق نجم عبد الرحمن، دار المأمون، دمشق، ط2.
محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط1.
مسند أحمد، دار صادر، بيروت.
النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، مصورة.
النيسابوري، أحمد بن محمد، الكشف والبيان، الثعلبي، تحقيق ابن عاشور أبو أحمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

The Position of the Critics of the Narratives Preachers

Yaser Ahmed Alshamali*

ABSTRACT

A Critical Study of the clarification and analysis of the phenomenon of narratives preachers in Islamic history, showing the most important thing characterized it and their belongings, and their methods, then the statement of their bad impact in publishing narratives flimsy, and the amount of exploitation of the ignorance of ordinary people, then Jhodalme Hadith in addressing them revealed their danger, and the fight against what comes out of them and the jurisdiction of the critics to disclose the nature of their conversations, and the statement of this kind of link study criticizing Metn at the Hadith scholars introduced models of preachers ahaadeeth that challenged critics

Keywords: Narratives, Criticism, Hadith.

* University of Kuwait, Kuwait. Received on 12/11/2013 and Accepted for Publication on 16/11/2014.